المحكي التاريخي في رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" لإبراهيم الكوني

"The historical narrative in the novel "Southwest of Troy, Southeast of Carthage By Ibrahim Al-Koni

سنوسي شريّط
جامعة معسكر (الجزائر) cherietsenouci@hotmail.fr

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023 / 11 / 09	2024 / 03 / 27	2024 / 06 / 01

مُلَخَّصُ البَحث

يروم هذا المقال العلمي الانفتاح على تيمة التاريخ في نصوص الروائي الليبي إبراهيم الكوني، لتبيان وإبراز كيفية الاشتغال على هذه التيمة بوصفها موضوعة أسياسية بالنسبة للسرد الروائي المعاصر. وقد اخترنا لهذه المقاربة الثنائية التاريخ/والتخييل، رواية (جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة) ألّفها إبراهيم الكوني سنة2017.

تعدّ هذه الرواية أنموذجاً أدبياً لاستلهام الحادثة التاريخية في القالب السردي الروائي. خصوصاً وأن الروائي إبراهيم الكوني اعتمد في هذا النص على حادثة تاريخية هامة ومعروفة في التاريخ الليبي، تتمثل في المعركة التي وقعت بين الأسطول الأمريكي والجيش الليبي بقيادة الباشا "يوسف القرمانلي"، استطاع هذا الأخير التغلب على الأسطول الأمريكي وأسر البارجة الحربية "فيلادلفيا" التي كانت تتبجح بها أمريكا.

من هذا المنظور، تحاول هذه المقالة التطرق إلى كيفية التعامل مع التاريخ من حيث التوظيف والاستلهام لأحداثه ومكوّناته ومضامينه، خاصة الحادثة التاريخية باعتبارها خطاباً حقيقياً واقعياً في القالب السردي الروائي بوصفه خطاباً تخييلياً. أي الاشتغال على عاملين أساسيين في هذه المعادلة، بين ما هو واقعي وما هو تخييلي. مع إبراز أسلوب الحكي أو السرد المعتمد من قبل المؤلّف في نصه الروائي.

الكلمات المفاتيح: الرواية-التاريخ-التخييل-الواقع-السرد.

Abstract

This scientific article aims to open up the theme of history in the texts of the Libyan novelist Ibrahim Al-Koni, and how to work on it as a fundamental theme for contemporary novelistic narratives. For this dual approach, history/imagination, we chose the novel (Southwest of Troy, Southeast of Carthage) written by Ibrahim Al-Koni in 2017.

This novel is a clear example of drawing inspiration from the historical incident in the novel. Especially since the novelist Ibrahim Al-Koni, in this text, relied on a pivotal historical incident in Libyan history, where a battle took place between the American fleet and the Libyan army led by the Pasha, "Youssef Al-Qaramanli." The latter was able to overcome the American fleet and capture the battleship "Philadelphia".

From this perspective, this article attempts to address how to deal with history (a historical event) as a real, realistic discourse in the novel form as an imaginary discourse. That is, working on two basic factors in this equation, between what is realistic and what is imaginary. Highlighting the narration style adopted by the author in his fictional text.

keywords:. novel - history - imagination - reality - narrative.

1.مقدمة:

ليس من قبيل المبالغة إذا اعتبرنا الروائي الليبي "إبراهيم الكوني" أبرز شخصية الروائية في العالم العربي في الوقت الحالي، لاعتبارين اثنين:

أولهما: يرتبط بالتراكم السردي الروائي الكبير الذي أنجزه على مدار سبعين سنة(هو من مواليد1948)، حيث ألّف لحد الآن أكثر من 60رواية،منها: رباعية الخسوف(تسمل: البئر، الواحة، أخبار الطوفان الثاني، نداء الوقواق)، نزيف الحجر، التبر، المجوس، السحرة،.... بالإضافة إلى العديد من القصص والكتب النقدية واللغوية. هذا ما دفع بأحد النقاد إلى وصفه بالنهر السائل الجارف، لعدم قدرتهم على مجاراته أو إيقافه ، يقول (جاد الحاج) :"أوقفوا إبراهيم الكوني لنتابعه، ما هذا النهر؟ بعيداً مباغتاً منذ البداية (....)راويا حكاية البدء قبل أن تبدأ الحكاية"[1] .

ثانيهما: يتعلّق بنوعية الكتابة السردية التي اختارها هذا الروائي في مشروعه الإبداعي، حيث اتخذ من الصحراء فضاء لمروياته، ومن الأساطير متوناً لمواضيعه التي عالجها روائياً. لذلك غدا كاتباً متميزاً عن الروائيين العرب. من خلال تشييده لأسلوب سردي جديد يغوص في الصحراء الليبية لسرد أساطيرها وسبر أغوارها. مركّزاً بالأساس على الإنسان التارقي (نسبة إلى التوارق) في علاقاته المتعددة مع أخيه الإنسان أولاً، ومع الطبيعة ثانياً، ومع الحيوان ثالثاً. يقول الباحث بوشوشة بن جمعة عن هذه الخصوصية التي تميّز بها هذا الروائي: "وإبراهيم الكوني في جميع رواياته التي يتواتر صدورها منذ أواخر الثمانينات من القرن العشرين إلى اليوم تنفتح على أفق باحث عبر التميّز عن المغامرة، وعن الخصوصية عبر تجاوز السائد من طرائق التعبير المستحدثة في الغرب، والتي انفتح عليها هذا الجيل من كتّاب الرواية منذ الستينات"[2]. ففي مجمل أعماله تبرز هذه التيمات لتشكّل انشغالاً محورياً لدى الكاتب، الذي يحاول دوما من خلال هذه النصوص السردية الروائية أن يعالج هذه القضايا، بالانفتاح على الأساطير التي تمثّل ميثولوجيا المجتمع الليبي، والصحراء

لكونها "فضاء للروح والطهر والسكينة"[3] من جهة، ومن جهة ثانية بوصفها موطناً للأساطير التي أبدع الإنسان في تشكيلها عبر الزمن.

هذا ما سنحاول التطرق إليه في هذا المقال العلمي، الذي أردنا من خلاله الانفتاح على تجربة سردية فريدة ومتميزة ومختلفة هي تجربة الروائي الليبي إبراهيم الكوني.

2.تداخل التاريخي مع التخييلي في رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة":

تقوم رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" على محكيات تتراسل بشكل متواتر من خلال الفصول التي اعتمدها الكاتب(تحتوي الرواية على92 فصلاً)، حيث يتكئ فيها على المحكي التاريخي من خلال جنوح السارد (الغير المشارك في الأحداث) إلى سرد أحداث معركة17 فبراير1804 (خلال القرن التاسع عشر) التي حدثت بين الأسطول الأمريكي والجيش الليبي بقيادة "الباشا يوسف القرمانلي". وهي سابقة تاريخية شكّلت حدثاً بارزاً في العالم، خصوصاً بعد الانتصار الذي حققه "الباشا يوسف" على أمريكا، واستطاع أن يهزم أسطولها البحري ويأسر البارجة البحرية "فيلادلفيا" العملاقة التي كانت تتبجح بها أمريكا، وتفتخر بهذا الصنيع الذي لم يحققه أحداً في العالم:

يقول السارد: "كان ذلك الجبل العائم قد عبر مضيق جبل طارق منذ أيام. ليكون آخر أعجوبة من أعاجيب البحار التي أفلح في إبداعها عقل المخلوق البشري: تلك هي البارجة الحربية "فيلادلفيا" التي تحرث مياه بحر ليبيا عميقا(برغم أنها تبدو عن بعد ساكنة بسبب هول حجمها)، في طريقها للانضمام إلى أسطول البحرية الأمريكية المرابط قبالة سواحل طرابلس"[4] .

أراد إبراهيم الكوني في هذه الرواية أن يسرد الأحداث التي شهدتها معركة 17 فبراير1804، لكنه لم يلتزم بكل الأحداث الحقيقية، وإنّما حاول تسريد هذه الأحداث التاريخية من خلال النزوع نحو التخييل التاريخي الذي يتيح له عدم التقيد بالحقائق التاريخية. لذلك نجد عبر صفحات الرواية التي وصلت إلى630 صفحة، التاريخ يُروَى بشكل سردي ممتع، يؤثّثه تخييل الكاتب الذي حاول تقديم بعض ما تعلّق بتاريخ ليبيا عبر التخييل الروائي، بغية قراءة حاضر ليبيا، خاصة وأن الرواية لا تتحدث فقط عن المعركة بين الأسطول الأمريكي والجيش الليبي، وإنما تعرّج أيضاً على تيمة الصراع على السلطة داخل عائلة "القرمانلي".

قام إبراهيم الكوني في روايته على تسريد التاريخ بالاعتماد على تقنية الحكي عبر عنصر التقطيع، حيث قسّم روايته إلى أقسام، وكلّ قسم إلى أجزاء، وهذه الأجزاء عبارة عن محكيات قصيرة تتضمّن حكاية من حكايات حادثة انتصار الجيش الليبي بقيادة "الباشا يوسف القرمانلي" على الأسطول الأمريكي. وتحتوي هذه الأجزاء/الحكايات تاريخ ومكان وقوعها، وهذا ما يجعل رواية إبراهيم الكوني عملاً تاريخياً بامتياز باعتباره يقوم بسرد هذا التاريخ بالاعتماد على التخييل كخاصية سردية لإخراج النص الروائي من محراب التاريخ نحو رحابة التخييل.

3.العتبات النصية:

تشكّل العتبات النصية مداخل مهمة في فهم النص الروائي، إنها تتيح للقارئ الولوج إلى عالم النص انطلاقا من العتبات التي يقدمها الروائي باعتبارها مفاتيح السرد ، منها: عتبة العنوان، عتبة التقديم، عتبة الإهداء، عتبة النصوص الموازية.....وغيرها من العناصر الضرورية التي تقرّب المعنى والدلالة للقارئ.

تحتوي رواية إبراهيم الكوني "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" على عتبات متميزة تحيل في الكثير من الأحيان إلى نزوعها نحو التاريخ، مما يدلّ على أن الروائي أراد أن يستثمر تاريخ ليبيا في نصه الروائي من أجل إعادة قراءة هذا التاريخ من منظور الحاضر. خصوصاً وأن الرواية تنفتح على تيمات عديدة، منها: المواجهة مع الغرب، الصراع على السلطة، واقع الصحراء، الطمع، حب التسلط من قبل "الباشا يوسف"... وهي كلّها وقائع نجد لها تمثيلاً واضحاً وإسقاطاً جلياً على الواقع الليبي في الوقت الراهن، خاصة فترة حكم الرئيس (معمر القذافي)، وكأن المؤلّف أراد أن يرمز إلى هذا الأخير بشخصية "الباشا يوسف القرمانلي"، نظراً للتشابه الكبير بينهما في الحكم. وهذا ما ذهب إلى تأكيده الناقد "سيف محمد المري" في مقدمته التي كتبها لهذه الرواية في طبعتها الأولى، إذ يقول:"....ومن هنا جاءت رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" متوازية في شخوصها وأحداثها وإسقاطاتها مع ما حدث ويحدث للعرب، وجاء اسم طروادة ذات البعد الأسطوري الإغريقي مرادفاً لغرناطة آخر مملكة عربية مزدهرة في الأندلس وآخر معقل عربي أفلت عنه شمس حاضرتنا، لتمثلا توأمة فنية تختلط معهما وفيهما حقائق التاريخ مع وقائع الجغرافيا مع الخيال المجنح للكاتب ليتقاطع ذلك كله مع ما يحدث الآن في ليبيا التي منيت بحكم فردي امتد لما يقارب خمسة عقود تحت سيطرة طاغية يرى نفسه المخلص ويظن نفسه كما كان يدعي "بني الصحراء""[5]. أي أن الرواية تحمل رموزاً دلالية واضحة من خلال المتن السردي الذي تحمله، فهي من جهة تبرز قوة الجيش الليبي في مواجهة الغزاة، خاصة الأسطول الأمريكي، ومن جهة أخرى تعكس مدى تجبر القائد "الباشا يوسف القرمانلي" الذي وصل إلى الحكم عن طريق الدم بعد قتل شقيقه "حسن بك القرمانلي".

1.3.عتبة العنوان:

يمثّل العنوان أول عتبة يلجها القارئ إلى عالم النص. بغية فهم واستيعاب مضمون النص الروائي. والعنوان كما يصفه الناقد المغربي "جميل حمداوي" هو "عتبة النص وبدايته، وإشارته الأولى . وهو العلامة التي تطبع الكتاب أو النص، وتسميه، وتميزه عن غيره....[6]. بينما يعتبره الناقد التونسي "بن جمعة بوشوشة" "فاتحة خطاب الرواية وأولى عتبات النص، حيث يمثّل ملفوظ ما قبل الحكي، وما بعد الحكي الأخير، وهو وثيق الصلة بهما، وإن بدا في الظاهر مستقلاً عنهما، باعتبار ما يتضمنه من مؤشرات جمالية ودلالية، تستمد بلاغتها من الإحالة إليهما إيحاء، لا إعلاناً، وتلميحاً لا تصريحاً"[7].

بالنسبة لعنوان رواية إبراهيم الكوني فقد جاء طويلاً ومركباً من حيث الصياغة، حيث اشتمل على مقطعين يتضمنان كلمات مرتبطة بالتاريخ:

"جنوب غرب طروادة / جنوب شرق قرطاجة".

في المقطع الأول يدلّ على الفضاء الذي تحتلّه مدينة **"طروادة"** ذات البعد الأسطوري الإغريقي، وهي مدينة يونانية تعرّضت لحصار من قبل اليونانيين لمدة10 سنوات، أما المقطع الثاني فيدلّ على الفضاء الذي تحتلّه مدينة **"قرطاجة"**، وهي مدينة قديمة متواجدة في الساحل الشمالي من إفريقيا في ضواحي الجمهورية التونسية. أسّسها الفينيقيون خلال القرن التاسع قبل الميلاد، وأطلقوا عليها اسم البورصة وتعني القلعة. وقد ذكر المؤّلف العنوان في روايته في الصفحة381، حيث قام بشرح العنوان في سياق أحداث الرواية:

"حدّث القبطان "بريبل" مرؤوسه النقيب "ديكاتور" فقال:

-لن يهنأ لي بال حتى أسوي مدن هذا الساحل بالتراب كما فعل أسلافنا ب"طروادة" أو.. أو أحرثها حرثاً وأنثر في أرضها ملحاً حتى تعود تنبت زرعاً كما فعلت سلالة "طروادة" بعدوتها "قرطاجة" !

تأمل "ديكاتور" وهو يسرح في المدى الأزرق المسكون بهدوء مريب:

-يذهب الهيلينيون لتخريب "طروادة" ثأراً لشرف امرأة مختطفة، فيذهب أخلاف أمة "طروادة" لمحو سلالة "قرطاجة" بعدها بألوف السنين كأنهم يردّون ثأراً مبيتاً !

حاجج القبطان:

-يجب ألاّ تنسى أن سبب نكبة "طروادة" هم أسلاف أهل "قرطاجة" !

تعجب النقيب:

-حقاً !

-ألم تكن ذرية "فينيقيا" الشقية التي أقامت كيان "قرطاجة" يوماً هي سليلة تلك الذرية التي اختلست "هيلين" لتلقي بها في أحضان البليد "بوريس"؟

سرح القبطان لحظات. أضاف:

-أمل ألاّ يكون الموقع عملاً من قبيل المصادفات !

عقّب النقيب:

-جنوب غرب "طروادة"، جنوب شرق "قرطاجة".

ولكن القبطان استنطق الحلم:

-لكل زمان طروادته !

تغنّى النقيب:

-كما لكل زمان قرطاجته !"[8] .

من خلال تركيبة العنوان، نستخلص أن الكاتب يتفنن في عملية التشكيل والبناء الفني لنصوصه السردية، سواء على مستوى الأسلوبي أو على مستوى الجمالي. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الروائي إبراهيم الكوني يمازج بين التاريخي مع التخييلي ليشكّل نصاً روائياً يقف عند تخوم الواقع ليسرد ذاكرة الوطن(ليبيا) عبر تعاريج محطاتها الزمنية. حيث تمّ استحضار مدينة **"طروادة"** جنوباً ومدينة **"قرطاجة"** شرقاً، ليقارب بينهما وبين مدينة **"طرابلس"** التي حوصرت من قبل الأسطول الأمريكي، إلى جانب الجيش

الفرنسي والجيش الإنجليزي والجيش الاسباني. فهذا الاستحضار التاريخي لهاتين المدينتين له دلالة واضحة لما يحدث ل"**طرابلس**" مع الغزاة كما سمّاهم "الباشا يوسف القرمانلي". لذلك جاء العنوان يحمل هذه المقاربة في بعدها التاريخي والواقعي لكونها حادثة حقيقية وقعت خلال القرن التاسع عشر. وقد حاول الكاتب إعادة تمثّل هذه الحادثة، والتأريخ لها عبر الرواية، هادفاً بذلك إلى النزوع نحو إعادة قراءة الحاضر وما ينطوي عليه من أحداث ومواقف شبيهة بما وقع قديماً.

2.3.عتبة الصفحات الأولى: تحتوي الصفحات الأولى على صور لمباني قديمة على شكل قلاع محصنة. تليها رسومات لخرائط ليبيا، تشمل فترات القتال الذي تتحدث عنه الرواية، والمتمثل في المعارك التي قامت بين الأسطول الأمريكي والجيش الليبي، بالإضافة إلى الجيوش الفرنسية والإنجليزية والإسبانية. استعمل إبراهيم الكوني هذه الخرائط كافتتاحية للمَشَاهِد السردية التي ستُروى عبر الرواية. كما تضمّنت صفحات البداية إهداء إلى شهداء المعركة:

"إلى أبطال لم يروا يوماً في الوطن غنيمة، فجادوا بأنهار الدم ليبعثوا فيه القيمة..

إلى شهداء ملحمة السابع عشر من فبراير، نزيف يشهد كيف يعيد التاريخ نفسه" .

وفي الصفحة الموالية للإهداء يستعمل الكوني نصوصاً موازيةً لمفكرين وعلماء وفلاسفة، لتقريب المعنى الدلالي والرمزي لروايته. حيث يذكر قولاً للفيلسوف **"جان جاك روسو"**:

"إلى أي مآل سيؤول التاريخ لو خلا من الطغاة والحروب ومكائد أهل الكيد"[9] . وكأن الفيلسوف يربط التاريخ بجانبه السلبي، حيث يروي التاريخ سيّر هؤلاء الطغاة.

أما النص الثاني فهو ل **"أحمد النائب"** من كتابه (المنهل العذب):

"..وخمدت نار الحرب، وبلغت كل نفس مناها، وقتل محمد بك القرمانلي نفسه، وفرّ أخوه أحمد بك إلى مالطا، وأُرسل علي باشا القرمانلي إلى الأستانة العلية(أسيراً). وانقرض بيت آل قرمانلي"[10].

انطلاقاً من هذه العتبات، نستخلص أن الروائي إبراهيم الكوني يستحضر منذ البداية التاريخ في روايته، وهو بذلك يجهّز القارئ إلى أن الأجواء التي ستتحدث عنها الرواية تتقاطع مع التاريخ، رغم أنها ليست رواية تاريخية. ولكنها تعتمد على تخييل التاريخ، من خلال الجنوح نحو سرد الأحداث التاريخية بطريقة تنزع نحو التخييل الروائي، مع تطعيم الرواية بالكثير من الأحداث والمواقف، وأحياناً بشخصيات متخيّلة لإضفاء البعد الفني والجمالي على النص الروائي. في هذا السياق نورد مثالاً خاصاً بالروائي الليبي شارك في ندوة علمية حول (الرواية والتاريخ) بمصر ، حيث اعترف خلال تقديمه لمداخلته الموسومة ب: (الفرار الى التاريخ) بما يلي: "لا أعتقد يوما أنني كتبت روايات تاريخية"[11] .

3.3عتبة الفصول: قسّم الروائي روايته إلى ثلاثة أقسام، وكلّ قسم احتوى على أجزاء تحمل عناوين قصيرة مقيّدة في جمل واضحة مع ذكر تواريخ الأحداث التي وقعت. وبالتالي فإن الرواية تقوم بحكي التاريخ وتسريده من قِبَلِ السارد غير المشارك في الأحداث. وهذه العتبات تعطي الانطباع بأن الأحداث التاريخية التي ارتبطت بشخصيات الرواية، ممتدة في التاريخ، لكونها حدثت فعلاً. لذلك راح المؤلّف يستحضرها رغم بُعدها الزمني،

إلاّ أنه أراد من خلالها التطرق إلى هذه الأحداث بالتفصيل عبر التخييل الروائي. ومن أمثلة على هذا التقسيم، نذكر:

القسم الأول: يتضمّن59 جزءاً(من رقم1 إلى رقم59).

1-الدَيّن:

بحر ليبيا أكتوبر1803 م. (ص15).

2-الأسر:

ضاحية المنشية أكتوبر1803. (ص21).

3- الحيّة:

شطآن بحر ليبيا أكتوبر1803 م. (ص31).

4-العرض: (بدون تاريخ ومكان الأحداث). (ص41).

5-البحر:

بحر ليبيا. متن البارجة "فيلادلفيا". فجر يوم27 أكتوبر1803 م (ص51).

.....

.....

59-الخيبة: (بدون تاريخ ومكان الأحداث).

القسم الثاني: يتضمّن16 جزءاً(من رقم60 إلى رقم75).

60-الأدوار:

غرب الإسكندرية فبراير1805 م. (ص409).

61-الماء: (بدون تاريخ ومكان الأحداث). (ص412).

62-المال:

17 مارس. الصحراء الليبية 1805 م. (ص417).

63-المستنقع:

السراي الحمراء(البلاط) مارس1805 م. (ص421).

.....

.....

75-الرحيل:

درنة. حصن الساحل12 يونيو1805 م). (ص487).

القسم الثالث: يتضمّن17 جزءاً(من رقم76 إلى رقم92).

76-السّلالة:

البلاط. جناح الحريم. يناير1811 م. (ص496).

77-الانتقام: (بدون تاريخ ومكان الأحداث). (502ص).

78-التعويذة:

السراي الحمراء-البلاط. أبريل1814 م. (ص508).

79-آل عثمان:

طرابلس. أغسطس1816 م. (ص513).

.....

.....

92-الختام:

طرابلس. أحد أيام صيف1838 م. (ص616).

يعتبر هذا التشكيل السردي الذي اعتمده الكاتب إبراهيم الكوني أسلوباً سردياً روائياً جديداً يتم من خلاله تقديم السرد على فترات، أو من خلال مقاطع سردية جزئية، لذلك نرى هذه المقاطع وكأنها مَشَاهِد سينمائية يتم تقديمها على مراحل، وليس دفعة واحدة من خلال السارد. مما يوحي أن الروائي إبراهيم الكوني لا يفضّل تقنية خطية السرد في هذه الرواية، وإنما يحبذ تقطيع السرد إلى أجزاء على حسب الحكايات وشخصياتها ومختلف المكوّنات التي تنضوي تحته من أمكنة وأزمنة. وهذا طبعاً يرجع في الأساس إلى طبيعة الرواية في حدّ ذاتها، فالمضمون التاريخي هو الذي يفرض على الكاتب توظيف الأسلوب السردي المناسب لسرد حكاية الرواية، وهذا ما اتبعه المؤلّف في هذه الرواية.

شخصيات الرواية:

يذكر الناقد إبراهيم خليل في كتابه (بنية النص الروائي) في الفصل الخامس المعنون ب: (الشخصية-التقديم-التصنيف)أهمية الشخصية داخل النص، إذ يقول: "ما إن تذكر الرواية حتى تذكر الشخوص. إذ لا رواية بلا شخوص، فهم ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرّك الواقع من حولنا، وعن ديناميكية الحياة، وواقعيتها ، وتفاعلينها، فالشخصية هي –أولاً وأخيراً- من المقوّمات الرئيسة للرواية، والخطاب السردي بصفة عامة"[12] .

بناء على هذه الرؤية النقدية للباحث الأردني، يمكننا القول بأن الروائي إبراهيم الكوني يعطي أهمية قصوى للشخصية الروائية بوصفها عنصراً رئيساً وجوهرياً. فقد تضمنّت روايته شخصيات عديدة، أغلبها حقيقية/واقعية، أي ذات مرجع تاريخي تتكئ عليه، وهذا ما يجعل الرواية شيّقة وممتعة، لكونها تتحدث عن شخصيات حقيقية تستند إلى تاريخ محدد زمنياً يعود إلى القرن التاسع عشر ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى وجودها داخل القالب السردي(الرواية) يجعلها أكثر تشويقاً، نظراً لجنوح الروائي نحو السرد التخييلي لإمتاع القارئ بمَشَاهِد سردية ممتعة تجمع بين التاريخ والتخييل.

الشخصيات العربية الليبية:

1.الباشا يوسف القرمانلي: شخصية متسلطة حكمت ليبيا خلال الفترة الزمنية الممتدة من1711 إلى1835، انقلب على أخيه حسن بك القرمانلي، قتله ليحلّ محله. إنه شخصية ماكرة في إدارة الحكم. استطاع بفضل حكمته ومكره من أسر البارجة البحرية "فلادلفيا" الأمريكية.

2.**أحمد القرمانلي:** شقيق يوسف، هرب إلى مصر بعد استيلاء شقيقه يوسف على الحكم. تحالف بعد ذلك مع الأمريكيين لاسترجاع العرش من شقيقه يوسف.

3.**محمد القرمانلي:** شقيق يوسف وأحمد.

4.**الرايس مراد:** وزير البحرية الليبية، اسمه الحقيقي "بيتر لزلي" وهو ايرلندي، أسلم وانظم إلى الجيش الليبي.

5.**محمد بك:** ابن الباشا يوسف. وهو ولي العهد. لم يكن على علاقة حسنة مع والده الباشا بسبب ضعفه وعدم اهتمامه بالحكم وانشغاله بالكتابة وقول الشعر.

6.**أحمد بك:** ابن الباشا يوسف، استولى على الحكم، وقام بنفي والده يوسف القرمانلي خارج أسوار القلعة بحجة المرض.

6.**للا حواء:** زوجة الباشا يوسف.

7.**للا فطومة:** زوجة محمد بك، وابنة أحمد بك القرمانلي.

8.**للا حسنية:** زوجة أحمد القرمانلي.

9.**محمد الشريف:** والي مدينة "فزّان". تمّ الإطاحة به من قبل محمد بك رسول الباشا يوسف القرمانلي.

10.**مفتي الديار الطرابلسية:** فقيه المملكة.

11.**الشيخ النويري:** والي مدينة "فزّان" الجديد بعد الإطاحة بمحمد الشريف.

12.**محمد بك الألفي:** طريد العرش المملوكي في مصر.

الشخصيات الأجنبية:

1.**توماس جفرسون:** ثالث رئيس للولايات المتحدة الأمريكية، دامت فترة حكمه 09 سنوات (1801-1809).

2.**جيمس مايدسون:** وزير الخارجية الأمريكية.

3.**جاكوب جونز:** قائد من قادة الجيش الأمريكي. يسمّى الحكيم لأنه كان طبيباً، ثم تخلّى عن هذه المهنة ليلتحق بالجيش الأمريكي.

4.**بينبريدج:** ربّان أمريكي، قائد البارجة البحرية الحربية المسماة "فيلادلفيا".

5.**العميد بريبل:** قائد البحرية الأمريكية.

6.**النقيب ديفيد بورتر:** معاون الربّان بينبريدج.

7.**وليام راي:** ضابط بحري أمريكي.

8.**وليام ايتون:** سفير سابق لدى الجمهورية التونسية.

9.**الهندي الأحمر:** جندي في البحرية الأمريكية وهو من الهنود الحمر. يبدو شخصية متخيّلة في الرواية، نظراً لغرابة طبائعه وعجائبية تصرفاته التي تعتمد على السحر.

إضافة إلى شخصيات أجنبية أخرى (أمريكية) ذُكرت في متن الرواية بناء على الأحداث التي قامت بها، خصوصاً وأن هذه الشخصيات هي عبارة عن ضباط وجنود في الجيش الأمريكي.

وبالتالي، نلاحظ تعدداً وتنوّعاً كبيراً في شخصيات الرواية، مما يشي بأن الرواية موغلة كثيراً في التاريخ، فهي تحكي التاريخ عبر هذه الشخصيات، سواء كان بعضها حقيقياً/واقعياً أو متخيّلاً. فإبراهيم الكوني في روايته

يعمد إلى المحكي التاريخي لإبراز الأحداث التاريخية التي حدثت خلال القرن التاسع عشر. بأسلوب سردي روائي ينزع نحو التخييل ليحاكي التاريخ من خلال الرواية. يقول الناقد عبد الحكيم سليمان المالكي في هذا الشأن: "إن الرواية هي مادة خام لرؤى إيديولوجية ومواقف مسبقة من شخصيات تقطن فضاءً مكانياً واحداً هو الفضاء الليبي، عَكَسَ عبرها الكاتب وبوضوح التركيبة التي أرادها لشخصياته ومن خلال كلّ ممكنات النص بداية بالعنوان، مروراً بالمناصات، وطرائق التشخيص وتكوين الشخصيات عبر الماضي..."[13] .

الفضاء الروائي في رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة":

اختلف النقاد حول المصطلحين الفرنسي والانجليزي(**Espace space**)[14]. فئة من النقاد اختارت كلمة الفضاء قاصدة به المكان. وفئة أخرى فضّلت الحيز مثل عبد الملك مرتاض.. وفئة ثالثة اتخذت مصطلح المكان . وهذه الاختلافات نابعة من ترجمة المصطلح من الفضاء الغربي إلى الفضاء العربي، وهنا يكمن الاختلاف، وتتباين الرؤى حول المصطلح المناسب

شكّل الفضاء/المكان في رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" عنصراً أساسياً، لكون أن الأحداث التي حاكتها الرواية حملت العديد من الفضاءات على غرار: بحر ليبيا، الواحة، القصر، المنشية، شوارع مدينة طرابلس، مدينة درنة، مدينة فزّان، الصحراء الليبية، مصر، حقول الصعيد، غرب الإسكندرية، واشنطن(مقر وزارة الخارجية، والبيت الأبيض). هذه الفضاءات مثلما نلاحظ هي فضاءات مفتوحة وليست أمكنة مغلقة. لذا فضّلت استعمال مصطلح (الفضاء).

ويعتبر (بحر ليبيا) الفضاء الأكثر حضوراً في الرواية، وهو الفضاء الطاغي على مجمل الفضاءات الأخرى، نظراً لخصوصية الحدث البارز في الرواية، والمتمثل في الحرب الدائرة بين الأسطول الأمريكي والجيش الليبي في الساحل البحري. فالرواية تغوص في عوالم التاريخ لتسرد أحداثه وشخصياته، وتنقل فضاءاته بتفاصيل سردية تمتح من التخييل التاريخي لتقول ما لم يقوله التاريخ. هذا من جهة، ومن جهة أخرى بغية إعادة تفسير وقراءة الأحداث التاريخية من منظور معاصر.

الزمن الروائي:

يعدّ الزمن الروائي تقنية سردية هامة في البناء الروائي انطلاقاً من كونه مرتبطاً بالفترة التي تتحدث عنها الرواية. ومثلما جاء في رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" من خلال الفصول التي اعتمدها الكاتب، فإن الفترة الزمنية التي تعكسها الرواية هو القرن التاسع عشر الميلادي. وقد اختار إبراهيم الكوني أسلوباً سردياً يعتمد على تقسيم فترة الأحداث على الفصول، حيث يذكر-كما بيّنا سابقاً – في هذه الفصول أماكن وتواريخ الأحداث، حيث تبدأ الأحداث من أكتوبر1803 إلى صيف1838. وعبر هذه الفترة تتوالى الأحداث بشكل تراتبي يقدمّها السارد بحيادية.

استطاع إبراهيم الكوني أن يتحكم في الزمن الواقعي الذي أطرّ به روايته، حيث قام بتقسيمه على فصول النص، لكي يتمكن من تقديم الأحداث التي استقاها من الحادثة التاريخية الكبرى والمتمثلة في معركة17 فبراير1804 التي حدثت بين الأسطول الأمريكي والجيش الليبي بقيادة "الباشا يوسف القرمانلي".

هذا بالنسبة لزمن الأحداث التي عالجتها الرواية. أما زمن كتابة الرواية فيعود إلى سنة2017. وبالتالي يمكننا القول إن الروائي إبراهيم الكوني رام في روايته استحضار التاريخ القديم من خلال التركيز على معركة 17فبراير1804، قصد إسقاطها على الواقع الليبي المعاصر، خاصة الفترة التي حَكمَ فيها الرئيس (معمر القذافي) ليبيا. أي يصبح تأويل وتفسير هذا النص يتكئ على مقاربة واضحة وهي قراءة الحاضر بعيون الماضي.

4.خاتمة:

بعد هذه الفسحة العلمية عبر رواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة" للروائي الليبي إبراهيم الكوني، ومن خلال القراءة والتحليل والمساءلة لمكوّناتها السردية، وجدناها رواية متميزة وفريدة في استثمارها للتاريخ، فقد جاءت مغايرة للروايات العربية عموماً التي اتكأت على المادة التاريخية، سواء من حيث توظيف الأحداث والشخصيات والحقب الزمنية والفضاءات، أو من حيث طريقة التشكيل السردي. فجاءت مثل الملحمة في طريقة تقديمها لهذه الأحداث. لذلك اعتبرناها رواية تعمد إلى تخييل التاريخ انطلاقاً من الكيفية التي تمّ استثمارها للتاريخ في الرواية.

تقدّم رواية إبراهيم الكوني التاريخ كفيلم سينمائي يقوم على تقديمه عبر مَشَاهِد سردية تعتمد على أحداث وشخصيات حقيقية، تروم تبيان موقفها من هذه الأحداث. من هذا المنظور كانت هذه الرواية مغايرة كثيراً لروايات عديدة تعتمد على التاريخ. من ناحية أسلوب تشكيلها الفني المتميز وبنائها المعماري. ومن ناحية تعاملها مع التاريخ البعيد، إذ استطاع الروائي إبراهيم الكوني أن يستحضر التاريخ الليبي روائياً، ويقوم بإسقاطه على الواقع المعاصر. قصد تقديمه للقارئ، بغرض التعرف على تفاصيله وانعطافاته البارزة، خصوصاً وأنه اشتمل على أحداث تاريخية متميزة تنوّعت ما بين الشجاعة(انتصار الجيش الليبي على الأسطول الأمريكي)، والصراع على السلطة داخل عائلة القرمانلي والتي أفضت إلى النزوع نحو القتل(مقتل حسن بك على يد شقيقه الباشا يوسف، وهروب أحمد القرمانلي)، وأيضاً فداحة الاستنجاد بالأجنبي(أمريكا) للوصول إلى السلطة(تحالف أحمد القرمانلي مع الأمريكيين لإسقاط الباشا يوسف)، وهذا هو الهدف الرئيس الذي أراد الروائي إبراهيم الكوني طرحه في روايته. (جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة).

الهوامش:

1.البشير الجلجلي: العجائبي في أعمال إبراهيم الكوني الروائية(بحث في سردية التعجيب)، منشورات سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، ط2020/1 ص19.

2.بوشوشة بن جمعة:(الرواية الليبية المعاصرة (سيرورة التحوّلات ومعجم الكتّاب)، منشورات المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، ط2007/01 ص67.

3.سعدي مليكة: الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني مقاربة انثروبولوجية، منشورات النشر الجامعي الجديد، تلمسان(الجزائر)، ط2018/01 ص17.

4.إبراهيم الكوني: جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت(لبنان)، ط02/ 2012 ص15.

5..سيف محمد المري من مقدمة رواية إبراهيم الكوني: جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة، منشورات دبي الثقافية، الكتاب رقم 53، ط2011/01 ص04-05.

6.جميل حمداوي: دراسات في النقد الروائي بين النظرية والتطبيق، سلسلة المعارف الأدبية، دار نشر المعرفة، الرباط(المغرب) 2013 ص55.
7. بوشوشة بن جمعة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، منشورات المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، ط2005/01.
8. إبراهيم الكوني: جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة)، ص380-381.
9. إبراهيم الكوني: جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة)، ص09.
10. إبراهيم الكوني: جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة)، ص11.
11.إبراهيم خليل: بنية النص الروائي(دراسة)، منشورات الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان/منشورات الاختلاف، الجزائر)ط2010/01، ص173.
12.عبد الحكيم سليمان المالكي: جماليات الرواية الليبية من سرديات الخطاب إلى سرديات الحكاية، منشورات جامعة7 أكتوبر، بنغازي(ليبيا)، ط2008/01. ص139.
13.عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)،منشورات دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران(الجزائر)،2005 ص 185.
14.إبراهيم الكوني: الفرار إلى التاريخ، أعمال الندوة العلمية التي نُظمت حول الرواية والتاريخ، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، مصر، المجلد17 العدد01-1989 ص406.

المصادر والمراجع:

1/إبراهيم الكوني: جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت(لبنان)، ط2012/02
2/.إبراهيم الكوني: الفرار إلى التاريخ، أعمال الندوة العلمية التي نُظمت حول الرواية والتاريخ، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، مصر، المجلد17 العدد01-1989.
3/.إبراهيم خليل: بنية النص الروائي(دراسة)، منشورات الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان/منشورات الاختلاف، الجزائر)ط2010/01.
4/البشير الجلجلي: العجائبي في أعمال إبراهيم الكوني الروائية(بحث في سردية التعجيب)، منشورات سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، ط2020/1.
5/بوشوشة بن جمعة:(الرواية الليبية المعاصرة (سيرورة التحوّلات ومعجم الكتّاب)، منشورات المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، ط2007/01.
6/بوشوشة بن جمعة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، منشورات المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، ط2005/01.
7/جميل حمداوي: دراسات في النقد الروائي بين النظرية والتطبيق، سلسلة المعارف الأدبية، دار نشر المعرفة، الرباط(المغرب) 2013 .
8/سيف محمد المري من مقدمة رواية إبراهيم الكوني: جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة، منشورات دبي الثقافية، الكتاب رقم 53، ط2011/01
9/سعدي مليكة: الصحراء والأسطورة في روايات إبراهيم الكوني مقاربة انثروبولوجية، منشورات النشر الجامعي الجديد، تلمسان(الجزائر)، ط2018/01.
10/عبد الحكيم سليمان المالكي: جماليات الرواية الليبية من سرديات الخطاب إلى سرديات الحكاية، منشورات جامعة7 أكتوبر، بنغازي(ليبيا)، ط2008/01.
11/عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد)،منشورات دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران(الجزائر)،2005.